المثل الأعلى للشاب المسلم

للأستاذ على الطنطاوى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

لقد انتهينا من تعريف المثل الأعلى والشباب والاسلام، فلنشرع فى الموضوع :

قلت إن أندريه موروا وصف الشباب بصفتين أساسيتين : هما الحب والبطولة . أما الحب فهو عماد الحياة وركنها وأساسها، لا معدى عنه، ولا منجى منه . وأحسب أن الشباب الحاضرين، بل وكثيراً من الشيوخ يصفرون لى وينزلونني عن المنبر، إذا أنا قلت لهم : « لا تحبوا »، وكيف أقولها ؟ أجننت حتى أقول : « حطموا القلوب »، ودوسوا العاطفة . وماذا يبقى لنا إذا خسرنا العاطفة ؟ لقد خسر ادوار عرش بريطانيا العظمى، ولكنه ربح العاطفة فلم يخسر شيئاً . لقد أنسته عينا مدام سمبسون ملك انكلترا، فهل كان ينسيه هذا الملك الضخم، وهذا التاج المرصع، عينى سمبسون لو أنه هجرها ... ؟

العاطفة هي التى تدير دولاب حياتنا، وتسير أمورنا كلها، التى تقوى شخصيتهم، وتجمل أجسامهم، وتبث فيهم الروح الاجتماعية والجرأة والحرية والديمقراطية والإقدام وضبط النفس والإيثار . ولكن ليكن مبدؤنا دائماً في المباريات العامة والخاصة هو أن « الخسارة بحق خير من الفوز بباطل ! »، ولنتجنب ما استطعنا ألعاب المنافسات الحقيرة والعصبيات التافهة والانهماك الشديد ؛ وبذلك تكون المدرسة فردوساً يحفه المرح ويسرى فيه العمل الصحى بجميع نواحيه، وتكون التربية « مواءمة عليا بين المرء النامى الجسم وبين بيئته [1] »

وإلى اللقاء حيث أحدثك عن الناحية النفسية فالناحية الاجتماعية

« يتبع »

محمد مهدى ظاظا
مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية الأميرية

(١) أنظر الكتاب الآنف للأستاذ هورن

أما العقل فلا يصنع وحده شيئاً . من يذكر منكم أنه مشى خطوة واحدة برأى العقل وحده ؟ العقل يا سادتى فيلسوف أعمى، حكيم مقعد، ينادى بصوت خافت ضعيف ... أما العاطفة فهى القوة، هي النشاط، هى الحياة ...

أنا لا أقول اقتلوا العاطفة، لأن فى موتها موتنا، ولكن أقول إن العاطفة تضيق حتى لا تشمل إلا شخصاً واحداً، وتنحط حتى تنزل من قلب هذا الشخص إلى ما تحت القلب، إلى ما تحت ... السرّة ! وتسمو حتى تحيط بالمثل الانسانية العالية، وتعمّ حتى تشمل الأمة كلها، بل الانسانية جمعاء . فاسموا بعواطفكم عن مواطن شهواتكم، واخرجوا بها من ذواتكم، وقفوها على أمتكم وبلادكم

أحبوا، فإن الذى لا يحب لا يكون إنساناً، واذكروا واحلموا وتألموا ... ولكن افهموا الحب بمعناه الواسع الذى يشمل كل ما هو حق وخير وجميل ... لا المعنى الضيق العقيم، الذى لا يتجاوز حدود جسم امرأة ... أحبوا، ولكن ابقوا مسلمين . إن للمسلم قلباً، قال الله عز وجل : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب [1] أو ألقى السمع وهو شهيد »، ولكن المسلمين يغضون عيونهم وقلوبهم وفروجهم (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) . أحبوا ولكن ابقوا رجالاً . إن الرجل إذا أحب لم يبك ويتذلل وبأرق الليل، ولم يلق شفتيه على قدمى المرأة، كما كان يفعل لا مارتين، ولكنه يقوم قائماً على مشط رجله، ثم يقول لها، بعينيه النافذتين، وعضلاته الحجرية، وإرادته الماضية، ورجولته البادية : « تعالى ! »

أحبوا ولكن ابقوا أفراداً من هذه المجموعة البشرية التى هى الأمة، لا يقطعكم الحب منها، ويُعيدكم إلى الحياة الفردية الوحشية، فتنكروا كل شىء، وتنسوا الدنيا، وتتجاهلوا الحياة إلا إذا أشرقت عليها نظرة من المرأة وأضاءت فى أرجائها كلة منها . ولا تقيموا الدنيا وتقعدوها، وتغرقوا الأرض بالدموع لأن الحبيبة المحترمة لم تمنح قبلة وعدت بها، ولم تصل وقد لوحت

(١) مهما كان معنى القلب هنا ...

بالوصل ، تنظمون الأشعار فى هـذه الكارثة ، وتنشئون فيهـا الفصول ، تبكون وتستبكون ، ثم تنامون آمنين مطمئنين ، والنار من حولكم تأكل البلاد والعباد ...

الشعر شعور ، فأى شعور وأى حس فيمن يرى أمة كريمة مجيدة بقضها وقضيضها ، ومفاخرها وتاريخها وحياتها وأمجادها تطرد من ديارها ، وتخرج من بيتها — وهى أمتـه ، وأفرادها إخوته — لتعطى مساكنها إلى أمة من أسقط الأمم : أمة ضربت عليها الذلة والمسكنة وباءت بغضب من الله ، وغضب من الناس والحق والفضيلة والتاريخ ، ويرى صدورها مفتحة للرصاص ، وشيوخها مسوقين إلى حبال المشانق ، وشبابها فى شعاف الجبال وبطون الأودية يدفعون الظلم بالدم ، وأطفالها ونساءها بين لصين : لص ديار ، ولص أعراض ، لص يحارب بالذهب ، ولص يقاتل بالبارود — ثم لا يحس بهذا كله ، ولا يدرى به ، ولا يفكر فيه ، لماذا ؟ لأن الشاعر المسكين مصاب متألم ... ماله ؟ ما مصابه ؟ إن حبيبته لم تعطه خدها ليقبله ...

إن العاطفة إذا بلغت هذا المبلغ كانت جريمة .

* * *

وما دمنا فى حديث الحب فلنوف الحديث حقه . إن لى تعريفاً قديماً للحب ، هو أنه المرقد (البنج) الذى وضعه الله لتمام عملية التناسل التى لا بد منهـا لبقاء النوع البشرى ، والتى لا يصبر الانسان على احتمال قذارتها وآلامها لولا هذا المخدر ، فأول الحب إذن ووسطه وآخره الاجتماع الجنسى والسلام ، أما الحب العذرى الافلاطونى العفيف فليس إلا إحدى الأكاذيب الجميلة ، التى لا يصدق بها عاقل . من أجل ذلك يشك العقلاء فى عفاف المرأة المحبوبة ، وينظر المسلمون إلى الحب نظر الريبة ... إنى لألحظ فى وجوهكم معنى الاستنكار والاعتراض ، وأرى فيها بوادر الثورة ... لا يا سادتى ... أنا لا أنتقد الحب ، ولا أشك فى جماله ، ولكن أسألكم وأرجو أن تجيبونى بإنصاف : من هو الذى يسمح لى فيكم أن أحب زوجته أو أخته ؟ لا تغضبوا يا سادتى ... فما أردت إلا التمثيل فجاء المثل غليظاً نابياً ، وإنى ليسرنى أن تستهجنوه ، لأن هذا دليل على أنكم للحقيقة أشد استهجاناً ...

فلنعلن إذن أن هذا الحب المعروف اليوم ، مما يأباه الاسلام ويتنافى مع المثل الأعلى للشاب المسلم ، ولكن ماذا يصنع الشباب ؟

الجواب : يتزوجون ...

نعم يتزوجون . إن حياة العزب حياة خطرة على نفسه وعلى المجتمع . إنه صندوق ديناميت يوشك أن ينفجر فى كل لحظة فيدمر سعادة أسرة من الأسر ، وينقض دعامة من دعائم الوطن . إن حياة العزب حياة فارغة من كل شىء لأنها فارغة من الزوجة ولو امتلأت بكثير من النساء (غير الزوجات) . إن أفكار العزب مهما اختلفت مناحيها وتعددت متوجهة إلى وجهة واحدة ، تسمى إليها بشدة وعنف كما تسعى السيول من كل جهة إلى قعر الوادى ، إنه لا يجتمع عزبان إلا نظما مؤامرة على الأخلاق والعفاف

لست أبالغ ... أنا أيضاً شاب عزب ! ولكنى كسائر العزاب لا أحمل ذرة من اللوم ، وليس علىّ شىء من الذنب . الذنب عليكم أيها الآباء . إنكم تبيعون بناتكم . إنكم تصاهرون المال والجاه والأرستقراطية الزائفة ، إن حفلات العرس وحدها تخرب بيتى العروسين ... فما قولكم فى المهر والأثاث ؟ وما قولكم فى شاب مثلى فى رأسه شىء ، وليس فى جيبه شىء من مال ؟ كيف يتزوج ؟

لا أحب يا سادتى أن أكون منحطاً إلى هذه الدركة من الاستئثار و (الأنانية) فأستغل اجتماعكم لسماع محاضرتى لأعلن عن نفسى ، وأعرضها خاطباً مستجدياً ... ولكنى أحب أن تفكروا فى هذا الأمر تفكيراً جدياً . إننا قد شبعنا من الخطب وملنا من المقالات ، فهل فيكم أب مسلم له بنات يكون قدوة طيبة للآباء المسلمين الطيبين ، فيفتش عن شاب صالح جاد فيزوجه بما يستطيع من المهر والنفقات : بخمسين ليرة سورية [1] بثلاثين لم لا ؟ أهى تجارة ؟ أتريد زوجاً لبنتك صالحاً تسعد به ويسعد بها ، وينشئان أسرة شريفة مستورة سعيدة أم تريد ذهباً تبيع به ابنتك ؟

هذا دواء هذا المرض العضال . هذا حل المشكلة . فاذا لم تجلوها اليوم لا تنحل أبداً ، إذا لم تداووا المرض اليوم يموت المريض ...

فيا وجهاء هـذا البلد ، الوجاهة بالعمل النافع ، وبالتقوى والاصلاح ، لا بالمال ولا بالفخفخة الفارغة ، ولا بالعظمة الجوفاء ولا بالمراتب العالية ، فاعملوا أو فتنحوا عن أماكنكم لمن يعمل !

* * *

(١) الليرة السورية ٢٠ فرنكا فرنسياً — أى نحو ١٣ قرشاً مصرياً

وإن من الحماقة التي ليس وراءها حماقة أن تبنى الأسرة الثابتة على عاطفة متبدلة متحولة . من الحماقة أن يبنى الزواج على الحب . منذ الذي يبنى داره على كثيب من الملح في طريق السيل ؟ الحب فراشة حلوة ، فيها أجمل الألوان ولكنها لا تعيش إلا يوماً واحداً . الحب زهرة فوّاحة ليس لها في الروض مثيل ، ولكنها تذبل عند أول لمسة . من رأيي في الحب أنه لا يكون إلا إذا كان أمل ، وكان مع الأمل حرمان ، كالكهرباء لا تضئ المصباح إذا التقى فيها القطبان المختلفان . أنت تحب المرأة لأنك لا تقدر عليها ، فتسبغ عليها من خيالك ثوباً تراها فيه أجمل الناس ، فإذا قدرت عليها ، وخلعت هـذا الثوب عنها ، عادت امرأة كسائر النساء . أنظروا إلى الزوجين الحبيبين في شهر العسل ، وقد ذهبا يسيحان ينعمان بالخلوة الحلوة ، في أجمل البقاع ، أو أكبر المدن ، تحسبوا أن السعادة قد جمعت لهما من أطرافها ، ولكن اقتربوا منهما تروا أنهما لا تمر إلا أيام حتى لا يجدا ما يتحدثان به ، إلا حديث الأيام الأولى ، يوم كان أمل وكان حرمان ، ثم تمضى الليالى ، وتبلى جدّة هـذا الحديث ، فلا يبقى بينهما كلام ...

وماذا في لغة الحب ، غير (أحبّكِ) و (أحبّكَ) رددها مائة مرة فإنكم تناموِن ...

فلنعلن إذاً أن بناء الزواج على الحب وحده لا يرضاه الإسلام ، لأنه لا يرضاه العقل ... فهل نعود إذن إلى طريقتنا الأولى : تخطب لي عمتي أو خالتي ، وتنتقي لي الزوجة على رأيها ، وأنزل أنا على حكمها ، وأعلق مستقبلي بها ، وأمضى العقد وأمشى إلى حفلة العرس ، وأنا لا أعرف مالون عين العروس وما شكل أنفها ؟

هذه طريقة سقيمة عقيمة ... فماذا نصنع إذن ؟ ما هى الطريقة المثلى ؟ هى ياسادتى طريقة الإسلام . إن الإسلام منح الخاطب (بعد أن يتم الرضا عنه ، ويرجح جانب قبوله صهراً) أن يرى وجه المرأة وكفيها ، أن يجلس معها (بحضور وليها) ... هذه هى سنة الدين ، ولكن الآباء جاهلون ، يأبون أن يرى الخاطب الصالح وجه الفتاة ، ثم يخرجونهـا إلى الأسواق ، متبرجة متهتكة ، يرى أكثر من وجههـا وكفيها الفاسق والخبيث ، وكل من كان في الطريق ، حتى الحمار !

إننا تركنا قواعد الإسلام ، فتركنا الفلاح والنجاح

« البقية في العدد القادم »

علي الطنطاوي
المدرس في كلية بيروت الشرعية

من البرج العاجي

فكرة الضحية وإهراق الدم للمعبود لم تزل باقية إلى اليوم . فالوثنية قد خلفت تقاليد لم يكن محوها من اليسير . إن ذبح الخروف في العيد الكبير إن هو إلا ظل باهت لتلك العهود التي كان يُدفع فيها الآدمي للذبح عند أقدام الهياكل . ولكن الزمن غير الشكل ولم يغير المبدأ . إن الانسانية في تطورها لا تمحو شيئاً غرس في طبيعة الانسان من قديم ... ولكنها تبدل في لونه وطلائه ، وتعدل في ملامحه وتكسوه ثياباً أخرى ، وتسميه اسماً جديداً يتفق مع روح العصر الجديد . فالانسان لا يتغير . إنما يتطور . ولم يغب ذلك عن حكمة الأديان . فهى في تعاقبها لم تنسخ كل ما رسخ من عقائد الانسان . ولكنها أخذت أكثر هـذه العقائد بالرفق ، فهذبت من وسائلها وغاياتها . فالضحية الآدمية جعلتها ضحية من الحيوان ؛ والغاية منها ، وقد كانت إرضاء المعبود وحده ، حولتها إلى إرضاء الله بإرضاء الفقير في يوم العيد

هنالك شئ ينبغى أن نتدبره إذا أردنا إحداث انقلاب في حياة البشر . الحذر كل الحذر من أن نقتلع شيئاً من جذوره ، فإن ما نبت في قلب البشرية لا يقتلع . إنما نحن نستطيع دائماً أن نهذب ذلك الغرس وأن نميل به إلى حيث تريد ريحنا . وأن نبدل بما نشتهى ألوان أزهاره وثماره ، وأن نولد منه أقوى الأشجار ... وهكذا نخرج للحياة مما كان وعلى أساس ما كان ، ذلك الذى يقول فيه الناس إن عين الشمس لم تره . آه ! ما أصدق تلك الكلمة : لا جديد تحت الشمس . نعم . إن يد « الطبيعة » لا تبرز جديداً ولا تميت قديماً ، ولا تمحو من الوجود ، ولكنها تعدل وتبدل في الوجود . فلنتذكر دائماً أن لا شيء ينعدم في الطبيعة . وليست «المادة» وحدها هى التى لا تنعدم ، كما يقول الكيمائيون . كل شيء لا ينعدم في هذا الوجود . إن الطبيعة لا تعرف كلمة «العدم» ولكنها تعرف كلمة « التحول »

ذلك أسلوب الخالق الأزلي

توفيق الحكيم